(٤٠)

ناد

أراد(١) صاحب السعادة حمد باشا الباسل وأصدقاؤه بعد أن انفصلوا من الوفد المصرى أن يتخذوا لأنفسهم ناديا سياسيا يأوون إليه ويلتقون فيه

---

(١) ٢٩ — ٤ — ١٩٣٣ عدد ٢٣٧٨

ويجتمعون فيه إلى من قد يرى رأيهم ، ويذهب مذهبهم من الناس . وهذا حق لهم : لا ينازعهم فيه منازع ، ولا يحاربهم فيه أحد . وقد استمتعوا بهذا الحق فأنشأوا ناديهم : وافتتحوه أمس ، ووسعهم لحسن حظهم ، ولحسن حظ الحرية السياسية صدر الوزارة القائمة على شدة ضيقه بالأندية السياسية الأخرى ، وما يكون فيها من اجتماع وحديث . وألقى صاحب السعادة حمد باشا الباسل فى ناديه الجديد خطبة سياسية ، ما كنا نحب أن نعرض لها ، وما نحب أن نطيل القول فيها لولا ملاحظات نحب أن نسجلها مسرعين. ولعل هذه الملاحظات تنتهى آخر الأمر إلى ملاحظة واحدة ، وهى أن الخطيب وأصدقاءه يتعمدون الإعراض عن الحقائق الواقعة والانصراف عنها ، ويخلقون لأنفسهم جوا من الخيال غريبا يعيشون فيه ، ويحسبون أنهم يعيشون مع الناس . وهذا الجو الخيالى الخاص الذى لا يعتمد على الحقيقة الواقعة فى قليل ولا كثير ، ليس من شأنه أن يسهل على الذين يعيشون فيه الظفر بالفوز وتحقيق الآمال السياسية. فليست سياسة الشعوب خيالا ولا آمالا ، وإنما هى أعمال قد تستعين بالخيال لتحقيق المطالب الوطنية . وأوضح شىء على أن الخطيب وأصدقاءه قد خلقوا لأنفسهم جوا من الخيال وعاشوا فيه ، هو هذا الاسم الذى سموا به أنفسهم وأسبغوه على ناديهم . فهم يسمون أنفسهم الوفد السعدى ، ويضيفون ناديهم إلى وفدهم السعدى هذا ، وهم يعلمون حق العلم أن هذا الاسم لا يدل على شىء حين يطلقونه على أنفسهم ، وحين يحلون به ناديهم . وليس الوفد اسما ولا لفظا ، وإنما الوفد قوة حقيقية قائمة يستطيع كل إنسان أن ينظر إليها ، وأن يمتحنها وأن يحقق فيها النظر ، ويلح عليها بالامتحان . وهذه القوة لا تقوم على الخيال ، ولا تعتمد على الوهم وإنما تقوم على الناس الذين يكونونها ويجعلونها حقيقة واقعة ملموسة ، تراها كل عين ، وتلمسها كل يد ، وتغص بهـا كل وزارة لا تريد أن تعمل لمصر ، ولمصر وحدها .

هذه القوة مكونة من هؤلاء الأعضاء الذين يتألف منهم الوفد ، ومن هؤلاء النواب والشيوخ الذين تتألف منهم الهيئة الوفدية ، ومن هذه اللجان

المنبثة فى أقطار مصر والمنتشرة فى أرجائها . ومن هذه الملايين التى تؤلف الكثرة العظمى لهذا الشعب الكريم .

هذه هى القوة التى تجعل الوفد وفدا ، والتى تبيح للوفد أن يسمى نفسه وفدا ، والتى تمكن الوفد من أن يتخذ لنفسه فى السياسة خطة ينفذها ، ومن أن يرى خطة أخرى لا تلائم رأيه ومبدأه فيصد عنها وينفر منها ، لأنه يعلم حق العلم أنه مؤيد بهذه الملايين حين يأتى فى السياسة ما يأتى من الأمر ، وأنه مؤيد بهذه الملايين حين يدع من السياسة ما يدع من الأمر ، وأنه معرب عن آمال هذه الملايين ومثلها العليا حين يسعى إلى الاستقلال ويجد فى تحقيقه ، وأنه ناطق بلسان هذه الملايين حين يقول فى السياسة نعم ، وحين يقول فى السياسة لا .

وصاحب السعادة خطيب أمس وأصدقاؤه يؤمنون الإيمان كله بأنا لا نغلو فى ذلك ولا نسرف ، وهم يؤمنون الإيمان كله بأنهم قد يقدمون غداً على أمر من الأمور فلا يقدم معهم أحد ، وبأنهم قد يحجمون غداً عن أمر من الأمور فلا يحجم معهم أحد ، وبأنهم قد يقولون نعم ، فتقول الأمة لا . وقد يقولون لا ، فتقول الأمة نعم . وإذن ففيم التعلل بالآمال ، والتعلق بالخيال ؟ وفيم إطلاق الأسماء فى غير غناء ؟ وفيم رضاهم بالألفاظ وهم يعلمون حق العلم أن الألفاظ كثيراً ما تكون سراباً يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه ... !!

هذا مظهر من مظاهر هذا الجو الخيالى الذى خلقه صاحب السعادة حمد باشا الباسل وأصدقاؤه ، وأخذوا على أنفسهم بالحياة فيه . ومظهر آخر ليس خيراً من هذا المظهر ولكنه مثله سراب ليس من ورائه شىء ، وهو هذا البقاء على حب الوزارة القومية ، وهذا التعلق بأسبابها والتشبث بأهدابها ، وبعد أن أصبح تأليفها على الوجه الصحيح المنتج فى هذه الظروف التى تحيط بمصر شيئا لا أمل فيه ولا سبيل إليه .

إن الذين يذكرون الوزارة القومية جادين غير لاعبين . ناصحين للأمة غير مستدرجين لها إلى ما لا تحب . يعلمون حق العلم أن هذه الوزارة لن تكون قومية حقاً إلا إذا قبلها الوفد وهذه الملايين التى تؤيده كل التأييد، وتثق به كل الثقة ، وتطمئن إليه كل الاطمئنان . فاذا كانت الظروف السياسية الحاضرة تمنع الوفد من الاشتراك فى هذه الوزارة ، فمن العبث أن تسمى وزارة قومية ، لأنها ستكون — كما قال بعض الوزراء السابقين — قومية بلا قوم ، وشعبية بلا شعب . وسيكون حظها من هذا الاسم كحظ الخطيب وأصدقائه من اسم الوفد، وكحظ ناديهم من إضافته إلى الوفد...!!

نعم ، إذا أبى الوفد أن يشترك فى هذه الوزارة إلا بعد أن تستفتى فيها الأمة فتفتى بها ، وبعد أن تعرب الأمة بالانتخابات الحرة المطلقة عن رغبتها فيها وحرصها عليها ، فلن تكون هذه الوزارة التى تؤلف اليوم أو تؤلف غدا دون اعتماد على إرادة الأمة وزارة قومية ، ولكنها ستكون وزارة حزبية ، تؤلفها هيئة واحدة ، أو تؤلفها هيئتان أو تؤلفها هيئات مهما تقل فى نفسها فلن تستطيع أن تزيد على أنها تمثل أعضاءها ، ومن يتصل بهم من الأفراد ، وهى بعيدة كل البعد عن أن تمثل كثرة الأمة . أو أن تمثل من الأمة قلة لها خطر صحيح فى الحياة الديمقراطية الدستورية الصحيحة . وإذن ففيم التعلل بالآمال والتعلق بالخيال ؟ وفيم إطلاق الأسماء فى غير غناء ؟

صاحب السعادة حمد باشا الباسل وأصدقاؤه أحرار فى أن يتعللوا بالأمل، ويتعلقوا بالخيال ، ويسموا أنفسهم كيف شاءوا ، ولكنهم يرون معنا فيما نظن أنهم يتجاوزون الحق ، ويسرفون على أنفسهم حين يضيفون آراءهم إلى غيرهم ، وحين يزعمون على غيرهم ما لم يفعلوا ، ويقولون عليهم ما لم يقولوا . وقد زعم الخطيب أمس أن الوفد أقر بالإجماع منذ عام قبول وزارة تكون مهمتها العود إلى دستور عام ١٩٢٣ وإجراء انتخابات حرة، واستئناف المفاوضات للوصول إلى اتفاق عادل شريف ترضاه البلاد ممثلة فى برلمانها المنتخب انتخابا حرا .

والخطيب وأصدقاؤه يعلمون حق العلم أن إجماع الوفد لم ينعقد فى يوم من الأيام على كل هذا ، وإنما اتفق الوفد على بعضه ، واختلف فى بعضه الآخر . ولولا هذا الاختلاف لما وضعت هذه الجملة وهى « على أن تجرى فى شأن الوزارة بعد الانتخابات أحكام الدستور »

فكيف تجرى أحكام الدستور بعد الانتخابات على وزارة تقيدت يوم تأليفها باستئناف المفاوضات ؟ إن أحكام الدستور حين تجرى على وزارة بعد الانتخابات قد تضطرها إلى الاستقالة قبل أن يجتمع البرلمان ، وقد تضطرها إلى الاستقالة بعد اجتماع البرلمان ، وقبل أن تبدأ فى المفاوضات . فلو قد كان إجماع الوفد منعقدا على كل ما قاله الخطيب لما وضع هذا الشرط إنما وضع ليجعل هذه الوزارة وزارة انتقال ليس غير ، تعيد الدستور ، وتصلح ما تستطيع من الأمور ، وتجرى الانتخابات الحرة ، حتى إذا تمت الانتخابات وظهرت نتائجها ، جرت أحكام الدستور ، وردت أمور الأمة إلى الشيوخ والنواب الذين يمثلون الأمة .

هذا هو الحق الذى لاشك فيه ، وهو الذى يعلمه الخطيب وأصدقاؤه ، وهو الذى تنطق به محاضر الوفد فى جلساته التى عرض فيها لهذا الموضوع . وإذن فما بال الخطيب يلبس الأمر على الناس ، ويضيف إلى غيره آراء لم يروها ، ومذاهب لم يتورطوا فيها ؟

وله ولأصدقائه أن يروا ما يشاءون ، وأن يجدوا فى تحقيق آرائهم ، وأن يجربوا حظهم السياسى منفردين ، وأن يمتحنوا ثقة الأمة بهم ، وتأييدها لهم ، ولكن ليس لهم أن يزعموا أن غيرهم يشاركهم فى هذه التجربة ، أو يظاهرهم عليها . ولو كان الأمر كما يزعمون لما كانت فرقة ، ولما كان خلاف ، ولما وقف الخطيب أمس يفتتح ناديه الجديد .

كل هذا يبين ما قلناه آنفا من أن الخطيب وأصدقاءه يعرضون عن الحقائق الواقعة ، ويخلقون لأنفسهم جوا من الخيال يعيشون فيه .

ويقول الخطيب « إن الوفد إن قبل الحكم حين تدعوه الظروف إليه ، فهو لم يؤلف للحكم . وإنما ألف للنضال » وإذن فمن حسن النضال أن لا يسعى الوفد إلى الحكم ، وألا يلح فى السعى إليه . وألا يظهر من سعيه وإلحاحه فى السعى ما يطمع الانجليز فيه ، ويغريهم به . ويمكنهم من إملاء الشروط عليه . إنما النضال الصحيح أن يحتفظ الوفد بالكرامة القومية والعزة القومية ، وأن يعصم الروح الوطنى من الضعف ، وجذوة المقاومة من الخمود ، وأن يبين للإنجليز وللعالم كله فى وضوح وجلاء أنه فوق الخوف ، وأنه فوق الإغراء ، وأنه أعز وأقوى من أن تضعفه التجارب ، وتفسد عليه المحن أمره . وأنه أثبت على النضال من أن يبلغ منه الانجليز بترغيب أو ترهيب ، وأنه قد رسم لنفسه خطة فهو ماض فى تحقيقها ، لا ترده عنها قوة مهما تكن ، ولا تلهيه عنها حيلة مهما تكن حتى إذا أخفقت التجارب وفشلت المحاولات ،وعرف الانجليز أن أمر مصر يجب أن يكون لمصر، نزلوا هم عن شروط مصر، ولم ينزلوها عند شروطهم ، وعلى أحكامهم .

كذلك يكون النضال . ونحن نعلم أنه طويل . ونحن نعلم أنه شاق . ونحن نعلم أنه محفوف بالأذى ، ونحن نعلم أنه مملوء بالخطر، ولكنا على ذلك كله ، ولذلك كله نعلم أنه النضال الذى يليق بالرجال ، والذى يمكن الأمة من أن تكون أمة حقا ، ويرغم الانجليز على أن يقدروا كرامتها ويرعوا حرمتها ويؤمنوا لها بحقها كاملا غير منقوص .

فليتعجل الحكم من لا يستطيع الصبر عن الحكم ، وليصبر على الأذى من يؤثر العزة والكرامة على الخوف من الأذى ، وليذكر أولئك وهؤلاء أن من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وإن الله لا يضيع أجر العاملين .